المحاضرة: العاشرة

التفسير النفسي للأدب

مقدمة:

لقد أسهم المنهج النفسي في تعميق فهم النص الأدبي، وذلك من خلال ربطه بالأبعاد النفسية للمبدع، وبالعوامل الشعورية واللاشعورية المؤثرة في عملية الإبداع. وقد مرّ بنا في المحاضرات السابقة أثرُ سيغموند فرويد وبصمته في التحليل النفسي للإبداع الأدبي، إذ يرى فيه مجالًا خصبًا لاستكشاف خفايا النفس الإنسانية وتجلياتها الفنية.وفي هذا السياق النقدي، برز عدد من النقاد الذين حاولوا استيعاب هذا المنهج وتطويعه بما يتلاءم مع خصوصية النص الأدبي العربي، ومن بين هؤلاء النقاد الذين لهم باعٌ في الدراسات النفسية الناقدُ النفساني عزّ الدين إسماعيل، الذي يُعدّ من أبرزهم؛ إذ قدّم مقاربة نفسية واعية للأدب، تجاوزت التفسير التبسيطي القائم على ردّ النص إلى سيرة صاحبه أو اضطراباته النفسية، نحو رؤية أعمق تُعنى ببنية العمل الأدبي وعلاقته بالتجربة الشعورية للمبدع.ونحاول في هذه المحاضرة الكشف عن كيفية توظيفه لهذا المنهج في قراءة النصوص الأدبية، بما يلائم البيئة العربية، وهو ما يسهم في تطوير النقد العربي الحديث.

لقد تجلت معالمه النفسية في قراءة العمل الأدبي من خلال كتابه "الأدب وفنونه" والتفسير النفسي للأدب"؛ويعد هذين المؤلفين أثر كبير في وضع أسس نظرية النقد النفسي ويمكن حصر هذه الأسس في النقاط الآتية:

1 - العمل الأدبي وليد اللاشعور: يرى عزّ الدين إسماعيل أن العمل الأدبي لا يصدر عن الوعي وحده، بل يتشكّل أساسًا من اللاشعور، حيث تختزن التجارب النفسية والانفعالات المكبوتة والصراعات الداخلية التي لا يعبّر عنها المبدع تعبيرًا مباشرًا.، كما أن العمل الأدبي نشاط باطني أو لا شعوري ،أو هو رمز للرغبات المكبوتة في لا شعور الأديب،ولذا ،تأتي ضرورة تفسيره في ضوء المنهج النفسي التحليلي ،لانه المنهج الذي يختص بتحليل اللّاشعور". فاللاشعور هو المنبع العميق الذي تتفجّر منه المادة الإبداعية، فيصيغها الأديب في قالب جمالي منظم.

2. رفض التفسير النفسي التبسيطي للعمل الادبي: يشير عزّ الدين إسماعيل إلى خطورة ردّ العمل الأدبي مباشرة إلى حياة المبدع النفسية أو أمراضه، مؤكدًا أن هذا النوع من التفسير يُفقد الأدب قيمته الفنية، لأن "العمل الأدبي ليس وثيقة مرضية، وإنما هو بناء فني مستقل ."

3. علم النفس بين الأديب والناقد :يرى الناقد عز الدين إسماعيل أن هناك علاقة وطيدة بين الأديب وعلم النفس والناقد ،وأن "تجليات النفسية في العمل الأدبي وظيفة ينهض بها الناقد،وليس الأديب بتضمين أثره الفنّي حقائق سيكولوجية ،إذ يكفي هذا الأثر ما يحمله في ثناياه من ذخيرة نفسية من دون أن نقحم فيه نتائج التحليل النفسي".

4. كل عمل أدبي قابل للتحليل النفسي: يرى الناقد أن العمل الأدبي ثمرة تجربة شعورية معقّدة، وأن "أيّ عمل أدبي ؛كائنا ما كان نوعه أو عصره ،إنما يمكن تناوله بالدراسة التحليلية على أسس نفسية" تتحول أثناء الإبداع إلى صيغة فنية، بحيث لا تنتقل المشاعر إلى القارئ كما هي، بل بعد أن تُعاد صياغتها فنيًا داخل بنية النص.

5 .الإفادة الواعية من التحليل النفسي : يبيّن عزّ الدين إسماعيل أن مفاهيم التحليل النفسي يمكن أن تُسهم في فهم الأدب، شرط ألا تُفرض على النص فرضًا آليًا، بل تُستخدم بوصفها أدوات تفسيرية مرنة تخضع لطبيعة العمل الأدبي.

6 .الاهتمام بالرمز والصورة الفنية: يعدّ الرمز والصورة من أهم الوسائل التي تتجلى من خلالها الدوافع النفسية في العمل الأدبي، لأن النفس لا تعبّر عن ذاتها مباشرة، بل عبر إشارات فنية موحية.
7. خصوصية البيئة الثقافية العربية: يشدد الناقد عز الدين على ضرورة مراعاة الخصوصية الثقافية والاجتماعية العربية عند تطبيق المنهج النفسي، محذرًا من النقل الحرفي للنظريات الغربية دون تكييفها مع الواقع الأدبي العربي.